المحاضرة 04: العلاقات الدلالية02 / المشترك اللّفظيّ
Homonymy

1-تعريفه:

المشتركُ **لغةً** من " (شَرَكَ) الشِّرْكَةُ والشَّرِكَةُ سواءٌ مُخَالَطة الشَّرِيكَيْن، يقال: اشْتَرَكَا بمعنى تَشَارَكَا وقد اشْتَرَكَ الرَّجُلَانِ وتَشَارَكَا شَارَكَ أَحَدُهُمَا الآخَر... والاشْتِرَاكُ أيضًا جَمْعُ الشّرْك وهو النَّصِيبُ..."[1]، أمَّا **اصطلاحًا** فيحدُّه أهلُ اللّغة بأنْ تأتي "اللّفظةُ محتملةً لمعنيَيْن أو أكثر..."[2].

يعرّفه **علماء أصول الفقه** بأنه " اللّفظ الواحدُ الدَّالُ على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللّغة"[3]، كما نجد أغلب **المحدثين** يُجمعون على أنَّ المشترك " هو دلالة اللّفظ الواحد على معنيين مختلفين غير ضدَّين فأكثر دلالةً حقيقيةً على السَّواء ليس بينها علاقة، وبذا يخرج المجاز وأبوابه من المشترك، كما تخرج الأغراض البلاغية للأساليب الإنشائية وتخرج أيضا بعض الأدوات التي تستعمل في غير معناها الحقيقي"[4].

2-المشترك اللّفظي بين الإقرار والإنكار:

انقسم اللّغويّون في حقيقة ورود المشترك اللّفظي في اللّغة العربيّة إلى فريقيْن؛ فريق ذهب إلى إنكاره البتَّة، وآخر اعترف بوجوده وأقرَّ بوروده.

2-1/ المقرُّون: وهم من أثبت الاشتراك ظاهرةً دلاليةً واردةً في واقع اللّغة العربيّة ولا مجال للإنكار والتَّأويل، وضرب له أمثلة كثيرة، وعلى رأس هؤلاء: الخليل(175هـ) وسيبويه (ت180هـ) والأصمعي(ت216هـ) في كتابه: "الأجناس" وأبي عبيد القاسم بن سلّام(ت 224هـ) في "الأجناس" كذلك، واليزيدي (ت225هـ) في " ما اتَّفق لفظه واختلف معناه"، وبالعنوان نفسه: كتاب أبي العميثل (ت 240هـ) وكراع النمل (ت310هـ) في " المنجد في اللّغة "، وابن الجوزي(ت597هـ) في " نزهة العيون النواظر في علم الوجوه والنظائر"، إضافة إلى ما ورد بشكل فصول وآراء متناثرة في كتب أخرى. وكان المثبتون إزاء ذلك ينظرون في أمثلة المشترك نظرةً وصفيةً تزامنيةً إلى الكلمات ومعانيها في زمان

معيَّن أو عصر خاص. فهذا الخليل بن أحمد يرى " أنَّ تكرار اللّفظ في القوافي ليس بضائر إذا لم يكن لمعنى واحد، وأنَّه ليس بإيطاء (*) وأنشد للخليل[5]:

يا وَيْحَ قَلْبِي مِنْ دَوَاعِي الهَوَى إذْ رَحَلَ الجِيرَانُ عِنْدَ الغُرُوبْ
وَدَمْعُ عَيْنِي كَفَيْـضِ أَتْبَعْتُهُمْ طَرْفِي وَقَدْ أَزْمَعُوا الغُـرُوبْ
كَانُوا وَفِيهم طَفْلَةٌ حُرَّةٌ تَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ أَقَاحِي الغُرُوبْ

فالغروب **الأوَّل**: غروب الشمس، **والثاني**: جمع غَرْب وهو الدلو العظيمة المملوءة، **والثالث**: جمع غَرَب وهي الوهاد المنخفضة"، وينحو تلميذه سيبويه نحوه، إذ يقول في معرِض تقسيمه للكلام:" اعلم أنَّ من كلامهم(...) اتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين"، أمَّا ابن فارس(ت395هـ) فيجعله الجنس الثالث من أجناس الكلام الستَّة في الاتفاق والافتراق، فمِن الكلام " اتفاق اللّفظ واختلاف المعنى كقولنا: عين الماء وعين المال وعين الركبة وعين الميزان"، في حين يراه السّيوطي (ت911هـ) من أعظم وجوه إعجاز القرآن الكريم؛ "حيث كانت الكلمة الواحدة تتصرف إلى عشرين وجهًا، وأكثر وأقل و لا يوجد ذلك في كلام البشر".

ونجد أغلب الباحثين واللّغويّين المحدَثين يقفون موقفًا معتدلًا بين منكري هذه الظاهرة والمُغالين في القول بورودها، عندما ميَّزوا بين ما أُدخِل على المشترك وما هو منه حقيقة، فجعلوا " المجاز مسوغًا لإخراج كل الألفاظ التي أدخلها الدارسون في المشترك، كلفظ (الهلال) الذي يطلق على هلال السَّماء وهلال الصيد وهو آلة تشبه الهلال يُعرقَل بها حمار الوحش، وهلال النَّعل ذؤابته المشبهة للهلال، وهلال الإصبع المطيف بالظفر، والحيَّة إذا سلخت، والجمل الهزيل من كثرة الضراب وباقي الماء في الحوض..."[6]، فهذا اللّفظ وضع حقيقة للدلالة على المعنى الأوّل، أمَّا باقي المعاني فهي على سبيل المجاز لوضوح علاقة المشابهة، وكثيرة هي الألفاظ التي عُدَّت من المشترك وما هي منه في الواقع. وعليه يمكن القول بأنَّ الإيجاز طريق من طرق نشأة المشترك إنْ لم تتَّضح العلاقة بين معاني اللّفظة الواحدة، إذ المجاز مع كثرة الاستعمال يصبح حقيقة.

2-2/ المنكرون: نظروا في أمثلة المشترك اللّفظي نظرةً تاريخيةً، ومِنْ ثَمَّ أدخلوها في باب الحقيقة والمجاز[7]، وعملوا على تأويل أمثلته تأويلاً ينفيها من

باب المشترك، وذلك بجعل معنًى حقيقي واحد للَّفظ، وباقي المعاني مجازية، وعلى رأس المنكرين، بل والمسرفين في الإنكار، يطالعنا ابن درستويه (ت334هـ) في كتابه " شرح الفصيح " يذكر لفظة " وجد" واختلاف معانيها، قائلاً " هذه اللّفظة من أقوى حجج من يزعم أنَّ من كلام العرب ما يتفق لفظة ويختلف معناه؛ لأنَّ سيبويه ذكره في أوَّل كتابه، وجعله من الأصول المتقدِّمة؛ فظَنَّ مَن لم يتأمَّل المعاني، ولم يتحقَّق الحقائق أنَّ هذا لفظ واحد قد جاء لمعان مختلفة، وإنَّما هذه المعاني كلّها شيء واحد، وهو إصابة الشيء خيرًا كان أو شرًّا"، وبلهجة أقلّ حدَّة، يضيّق أبو هلال العسكريّ(ت400هـ) من سعة هذه الظاهرة حينما أورد – مؤيِّدا – قول بعض النحويين في أنَّه " لا يجوز أنْ يدل اللّفظ الواحد على معنيين مختلفين حتى تُضاف علامة لكلِّ واحد منهما فإنْ لم يكن فيه لذلك علامة أشكل وألبس على المخاطب وليس من الحكمة وضع الأدلة المشكلة إلاَّ أنْ يدفع إلى ذلك ضرورة أو علَّة ولا يجيء في الكلام غير ذلك إلَّا ما شَذَّ وقَلَّ، وكما لا يجوز أنْ يدلَّ اللّفظ الواحد على معنيين...".

أمَّا من مضيّقيها من المحدَثين، نجد إبراهيم أنيس، فمن خلال كتابه **(دلالة الألفاظ)** يرى أنه لوثبت أنَّ أحد المعنيين أصل والآخر مجازي فلا اشتراك بينهما؛ وإنَّ أغلب ما تظن أنه من المشترك هو في واقع الأمر من المجاز، ويحدِّد المشترك الحقيقي بأنْ " يكون حين لا نلمح أيّ صلة بين المعنيين كأنْ يقال لنا مثلاً أنَّ الأرض هي الكرة الأرضية، وهي أيضا الزكام (...) ومثل هذه الألفاظ التي اختلف فيها المعنى اختلافا بيّنًا قليلة جدا، بل نادرة ولا تكاد تجاوز أصابع اليد عدًّا"، لكن لو عدنا إلى كتابه **(في اللهجات العربيّة)** لوجدناه يقف موقفا وسطًا بين المنكِرين والمثبِتين، يقول فيه:" ويظهر أنَّ كلا الفريقين قد أسرف فيما ذهب إليه، وبَعُدَ عن جادَّة الصواب في بحثه، إذ لا معنى لإنكار المشترك اللّفظي مع ما روي لنا في الأساليب العربيّة الصَّحيحة من أمثلة كثيرة، لا يتطرق إليها الشَّك، كذلك لا معنى للمغالاة في رواية أمثلة له مع ما في هذا من التَّعسف والتكلُّف".

3-عوامل نشأة المشترك: لعلّ أهمّها:

-**اختلاف اللَّهجات العربيّة القديمة**: أو " العامل الخارجي؛ ذلك أنَّ كثيرًا من الألفاظ وردت بصيغة واحدة في أكثر من لهجة بمدلولات مختلفة، ومع عملية جمع اللّغة من البوادي وتصنيف المعجمات، ضُمَّت تلك المعاني المتعدِّدة للألفاظ دونما تحديدٍ للقبائل التي كانت تستعملها غالبا، وبذلك صار لهذه الألفاظ معانٍ عدة، نحو: "الألفت في كلام قيس: الأحمق، والألفت في كلام تميم: الأعسر، وقال الأصمعي: السَّليط عند عامة العرب: الزيت، وعند أهل اليمن: دهن السِّمسم"[8].

-**التغيُّر الصَّوتي**: أو تغيير النطق، وهو عاملٌ مهمٌّ في تكوين المشترك، ويكون ذلك عن طريق القلب المكاني والإبدال؛ أمَّا تغيير النطق بوساطة القلب المكاني فمثاله الفعلان "خطا" من الخطو، و"خاط " من الخياطة، وبقلب خطا إلى خاط أصبحت الكلمة الأخيرة من المشترك اللّفظي. ويكون تغيير النطق بوساطة الإبدال سببًا مهمًا في نشأة كثير من ألفاظ المشترك، ومثال ذلك لفظتا: حنك وحلك، إذ أبدلت لام "حلك" إلى نون لتطابق "حنك" في النطق وتنشأ لنا كلمة واحد هي "حنك" بمعنيين مختلفين.

-**الاستعمال المجازي**: الذي يراه بعض الباحثين من أهمِّ عوامل نشأة هذه الظاهرة، في حين يتخذه بعض المنكرين لها دليلاً على نفي وجودها، ويكون الاستعمالُ المجازيُّ عاملَ نشأة عندما تنتقل دلالة اللّفظ الأصلية إلى دلالة مجازية مع وجود علاقة بين الدّلالتين، ومثال هذا لفظة (الهلال) الذي يطلق على: هلال السَّماء وهلال الصَّيد وهلال الإصبع...، ولاشك أنَّ علاقة المشابهة هذه ملموسة بين مختلف معاني لفظة هلال، ولعلَّ هذا ما قصده أبو علي الفارسيّ(ت277هـ) بقوله:" أن تكون لفظة تستعمل لمعنى ثم تستعار لشيء فتكثر وتصير بمنزلة الأصل".

-قد يحدث الاشتراك اللّفظي **بطريق صرفي**؛ وذلك بتعدُّد الوجوه التي تختلف من أجلها الدّلالة مع الاتفاق في اللّفظ نفسه، كأنْ تتعدَّد المصادر بالاشتقاق في مثل الفعل (وجد) الذي يدلُّ على الغضب من المصدر (موجدة)، ويدلُّ على الحب الشديد من المصدر (وجد)، ويدلُّ على العلم بالشيء أو العثور عليه من المصدر (إيجاد)، وقد يكون تشابه الصِّيغ من الوسائل أيضًا، كأنْ تشبه كلمة في صيغة الجمع كلمة أخرى في صيغة المصدر، مثل كلمة:(النَّوى) التي تعني جمع نواة، وتعني البعد[9].

-**الاقتراض من اللّغات الأجنبية:** وهو ما سمَّاه القدماء بالمعرب أو الدَّخيل، ويحدث عندما تستعير اللّغة من لغة إلى أخرى كلمات تماثل كلمات أخرى فيها نطقًا دون معنى، ومثل هكذا أمر نادر الوقوع في اللّغة، ويمكننا أنْ نمثِّل له بلفظ "السُّور: حائط المدينة، والسُّور: الضِّيافة، والمعنى الأوَّل عربيّ، أمَّا الثاني فهو لكلمة فارسيّة".

إنَّ اللّغة العربيّةَ لمحظوظةٌ حقًّا، باحتوائها على هذا النَّمط اللّفظي الذي تتعدّد فيه الدّلالة وتختلف للّفظ الواحد، ممَّا يزيد في ثرائها وسِعَة القِيَم التعبيرية فيها؛ فاللّغة تستطيع أنْ تعبِّر عن أفكار عديدة بوساطة تلك الطريقة الناجعة القادرة على تطويع الكلمات وإكسابها مرونة وقابلية تنوُّع في الاستعمال، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى يمكن الإفادة من ذلك الغموض الوقتي الذي قد يكتنف لفظة المشترك وبالتالي التَّركيب ككل، فيمنح لذَّةً لغويةً فكريةً للسَّامع، سرعان ما ينجلي ذلك الغموض بمجرَّد الوقوع على المعنى المقصود من بين مجموع المعاني المحتملة، وأدبيًّا، يعدُّ عونًا للشاعر والناثر على أداء غرضه، واتِّساع مجال القول أمامه، وقد تكرّرت الألفاظ بعينها في قواف، ولا عيب فيها مادامت الألفاظ قد اختلفت معانيها، كما في (غرب) و(خال) و (عين) و (دين) وغيرها.

إنّ السّياق هو أقدر المفهومات جميعًا على ترجيح الدّلالة المقصودة على غيرها، أو كما سمّاه أولمان بـ:"صمَّام الأمان"[10] الذي يفرض قيمة حضورية واحدة على اللّفظة فيقطع الطريق على تداعي المعاني المتزاحمة، مع أنَّ الكلمة في المشترك مشحونة بمعانيها، تتحفّز للخروج والظهور، والمتكلّم يضع المعنى المراد في الإطار المطلوب المعيّن على الفهم والمحدّد للمعنى، والسّامع لا يجد صعوبة إطلاقا في فهم المراد من بين الكثرة ومع نسيان المجازية .

---

[1]-ابن منظور، اللسان، مادة [ش ر ك].
[2]-أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللّغة، ص 279، وينظر: الكفويّ، الكليّات، ص 339.
[3]-السّيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 329/1.
[4]-عبد الواحد حسن الشّيخ، العلاقات الدلالية والتراث البلاغي العربي-دراسة تطبيقيّة، مكتبة ومطبعة الإشعاع الفنيّة، الإسكندريّة-مصر، ط1، 1999م، ص66.
(*) الإيطاء: " هو في علم العروض، تكرار القافية لفظا ومعنى قبل سبعة أبيات أو عشرة، وهو عيب من عيوبها"، المعجم المفصل في علوم اللّغة (الألسنيات)، 115/1.
[5]-توفيق محمد شاهين، المشترك اللّغوي، ص 34.
[6]-رشيد العبيدي، أبحاث ونصوص في فقه اللّغة، جامعة بغداد، العراق، (د.ط)، 1988م، ص 245.

[7]-ينظر: عاطف مدكور، علم اللّغة بين التراث والمعاصرة، ص 256.
[8]-السيوطي، المزهر في علوم اللّغة، 381/1.
[9]-ينظر: رنا طه رؤوف، (الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين اللّغويين والبلاغيين)، رسالة ماجستير(مخطوط)، العراق، (1423هـ/2002م)، ص 75-76.
[10]-ينظر: ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللّغة، ص 141.